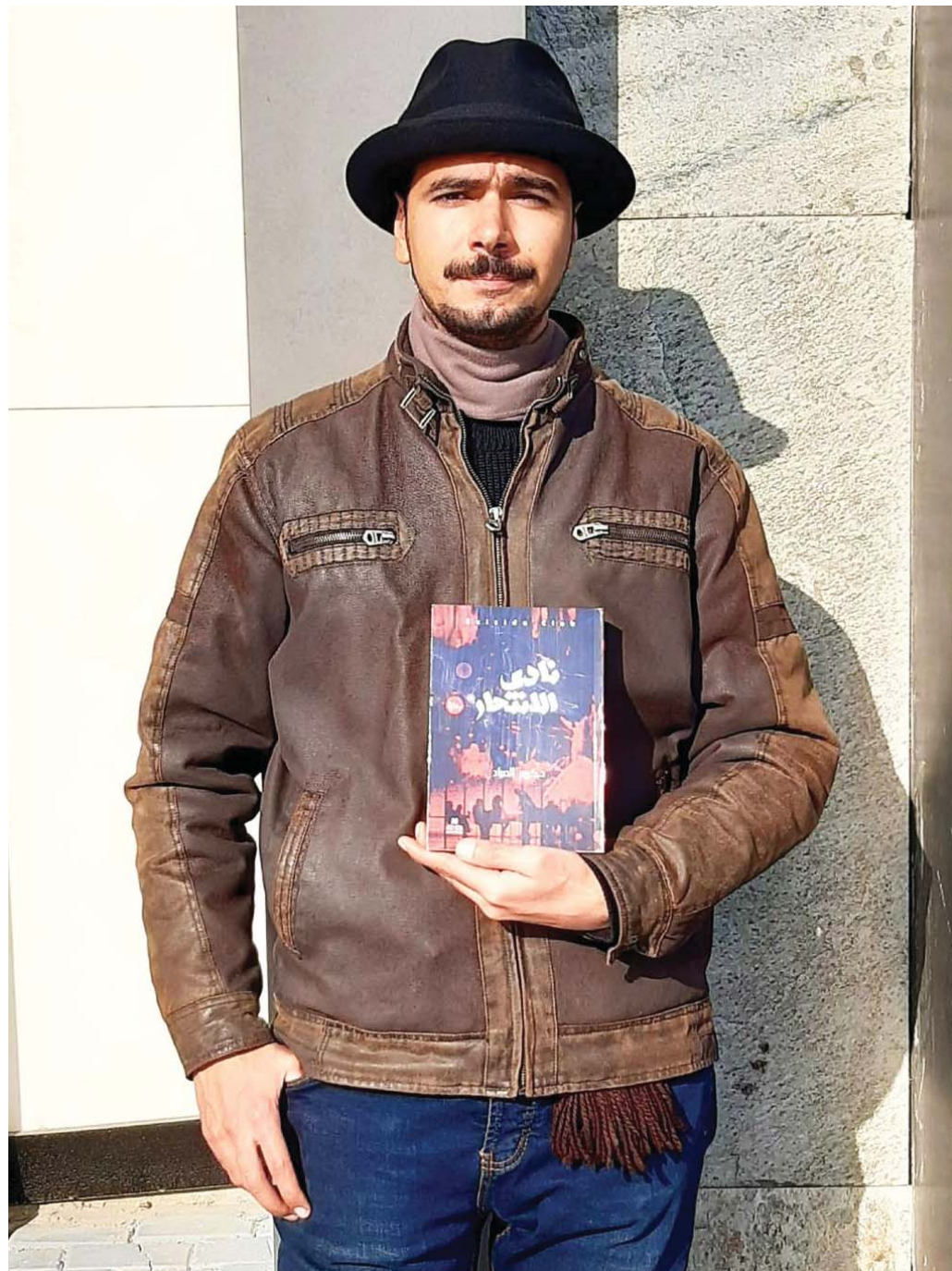


هل تحرر العدمية الإنسان من البنى المسبقة؟ المصري كريم الصياد: أن الأوان لتجاوز مشروعات الفكر العربي



الأدب ومؤشر على الثقافة

ويُبين ذلك بقوله "الأدب مستشعر، بمعنى مؤشر على الثقافة، لأنه تفاعل حي معها، بخلاف الفلسفة التي تنتج بعد تحليل ودراسة، والرواية العربية تعبر عن مرحلة الصدمة والوعي بالانهيار الحضاري، بعد أن كان الشعر في الستينات والسبعينات يعبر عن الانهيار القومي".

من أسباب ضعف أثر المشروعات الفكرية العربية ضعف علاقة المثقف بالجمهور، فالمثقف العربي شبه منزلة

توقع الصياد مستقبلاً أن يتم تجاوز هذه المرحلة نحو حضارة عربية جديدة في العقود القادمة، المسألة هنا هي أن الإبداع لا بد أن يسبقه هدم، والخلق يجب أن يسبقه فناء، وفي العدمية المعاصرة يختر الإنسان من البنى المسبقة التي انهارت إبان الربيع العربي، والحرية خطوة مهمة وضرورية في حد ذاتها. كتب الصياد رواية "نادي الانتحار" التي تنتمي إلى ثيمة الדיستوبيا، موضحاً أنها "ديستوبيا واقعية" تعبر عن تحول الثورة المصرية إلى كابوس، وقد كانت هناك العديد من الدوافع لكتابتها تلك الرواية، منها السياسي والأيدولوجي، ومنها دوافع شخصية حاول فيها أن يكشف كيف أن العقل قادر على التغيير الحقيقي الجارف، حتى لو لم يملك سوى نفسه. ويؤكد أن عدم تجاوز بعض الأعمال الأدبية، لاسيما للأدباء الشباب، مرحلة الصدمة من مآلات الثورة مسألة طبيعية؛ لأن هذه المآلات لم تحسم بعد تاريخياً، وليس أقل من عقد كامل من وهو ما يهدد بموجة من العدمية الهدامة التي لا مفر من نهايتها، لكن الباحث المصري يرى أنها "مرحلة من التوقف، ومن المهم عدم التوقف عندها، وأن نتجاوز القيامة إلى التكوين".

العربي وما زالت حاضرة بعد تنامي تيار الإسلام السياسي ووصوله إلى الحكم أحياناً، سؤال الإصلاح الديني. وفي ظل تلك الوضعية القائمة يصير الحل العقلاني كلباً صعب التحقّق، ومن ثم يطرح الباحث فكرة الاستعاضة عن الأصولية الدينية بالفكر الصوفي معتبراً إياه وسيلة لإحداث تغيير ثقافي حقيقي.

يقول الصياد "مسألة التصوف مسألة إستراتيجية بحثة، أنا لست صوفيّاً، ولا أفكر بطريقة الترميز. ولكن لو خبرت بين السلفية والصوفية، كاختيار بين حزبين مثلاً، أختار الصوفية، وقد يقول قائل: ولماذا لا ندعم الفكر العلمي العقلاني؟ طبعاً ندعمه، لكننا نحتاج مرجحاً إلى مجال من حرية التعبير وعدم التكفير، بحيث يمتد هذا المجال إلى المستوى الشعبي".

ونظراً إلى ضعف التعليم في الكثير من الدول العربية يشد الصياد على أن الحل العلمي العقلاني رغم كونه الأفضل بإطلاق يبدو بعيداً جداً من الناحية الإستراتيجية حالياً، على خلاف الحل الصوفي الذي سيبني أرضية ممكنة أو لا للحوار. ويؤكد لـ "العرب" أنه لا توجد تحديات حقيقية تحول دون دعم الثقافة الصوفية في مصر، والأمر يتطلب قراراً وإستراتيجية واضحة، وضرورتها الحالية مواجهة الإرهاب والتطرف والتعصب، مستدركا "لكن لن يمكن للمفكر أن يغير الواقع بفرقه فقط، الفكر نصف الطريق، والعمل المدني والحزبي بقيته".

وتشغل الأرقام العربية في مرحلة ما بعد الثورات بثيمة الדיستوبيا، انطلاقاً من استشعار الفقد وتحطيم التراث وتهاوي الحضارات، وهو ما يهدد بموجة من العدمية الهدامة التي لا مفر من نهايتها، لكن الباحث المصري يرى أنها "مرحلة من التوقف، ومن المهم عدم التوقف عندها، وأن نتجاوز القيامة إلى التكوين".

المتغيرات الثقافية والاجتماعية بالسرعة المناسبة، ونضيف إلى التراث المعرفي البشري وليس المحلي فحسب؛ أي أن إنجاز فلسفة عربية لا يبدأ من الهوية بل من متابعة الظواهر الثقافية والاجتماعية المستجدة، ومعاصرتها". ويشدد على ضرورة الانتباه إلى الأسئلة المعاصرة، مع إعادة النظر في المناهج المستخدمة، مبيناً أن المناهج لا تزال هي نفسها منذ دونيس إلى نصر حامد أبوزيد، وأهمها منهج الحفر الأيدولوجي الذي حاول تحديد خطواته، وضرب أمثلة عديدة من أعمال أصحاب المشروعات البحثية في قراءة التراث في السنوات الخمسين الأخيرة، وأنه أن الأوان لتجاوزها فقد أدت ما عليها، على حد قوله.

الإبداع والهدم

يعتبر الصياد أن منهج الحفر الأيدولوجي كانت له نتائج مهمة، فقد كشف عن بعض الدوافع فيما وراء الأساق والمذاهب في العلوم والفلسفة الإسلامية، لكنه في الغالب يقوم بتكثيف التاريخ ليخدم أيدولوجيا الباحث، وهو ما وصفه بـ "الأيدولوجيا السلبية"، أي أن الباحث يفترض أيدولوجيا معينة لدى الخصم ويستعمل المعلومات التاريخية المنقوصة عن هذا العصر للبرهنة على ذلك، بينما يؤكد على علمية معالجته.

وهذا ما يؤدي، في رأي الصياد، إلى تزيف التاريخ والإسقاط الأيدولوجي، وهو منهج غير علمي ولا يسمح ببناء معرفة جيدة بالتاريخ وبالفلسفة في النهاية، "ما أراه بدلاً هو الدرس العلمي المنهج للتراث الإسلامي، وهو الدرس القادر على كشف مفاهيمه وتناقضاته ومناهجه ونظرياته، ويبدأ من الألفاظ ثم المفاهيم صعوداً إلى النظرية، وفي النهاية النسق". ويشير إلى أنه من الأسئلة التي كانت موضع اهتمام في مشاريع الفكر

فرضت الثورات والانتفاضات العربية، التي اندلعت منذ حوالي عشر سنوات، أسئلة وإشكاليات جديدة على الفكر العربي تنبثق مما آلت إليه الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وما شهدته بعض الدول من تدمير. هذه الفترة تقتضي التوقف لمسألة المنجز الفكري العربي تجاهها. وفي هذا الصدد تصاور "العرب" الباحث والروائي المصري كريم الصياد الذي تعرض لتلك الإشكاليات في كتاباته.

حنان عقيل
كاتبة مصرية

تصدى الباحث والروائي كريم الصياد، مدرس الفلسفة بجامعة القاهرة، في كتابه الصادر حديثاً "مرايا الأنا وثقافة الآخر" للإشكاليات التي خلقها "الربيع العربي". وفي حديثه لـ "العرب" يتطرق الصياد إلى أثر مستجدات الواقع العربي على نزوع الكثير من الأدباء العرب لكتابة أعمال أدبية تنتمي إلى قيمة "المدينة الفاسدة"، لاسيما وأنه قد صدرت له رواية تنتمي إلى الثيمة.

تجديد المناهج

يؤكد الصياد في معرض حديثه عما بعد الفكر العربي أن المشاريع الفكرية العربية لم يكن لها أثر يُذكر في الثورات مقابل أفكار حقوق الإنسان وغير ذلك من الأفكار التي فرضها واقع الثورة، ما يعني ضرورة تجاوز مشروعات الفكر العربي والانطلاق من الأسئلة الملحة التي يفرضها الواقع الراهن. ويضيف لـ "العرب" "من أسباب ضعف أثر المشروعات الفكرية العربية ضعف علاقة المثقف بالجمهور في الدول العربية، إذا ما قورن الحال بالغرب، فالمثقف العربي شبه منزلة، ومندمج في مونولوج طويل؛ العلماني مع العلماني والإسلامي مع الإسلامي، وتفرضي المحادثة الثنائية بين طرفين مختلفين عادة إلى تكفير أو تجهيل أو تخوين، وكثيراً ما يستعمل الجمهور فيها سلاح ديماغوجي لمواجهة الخصم، بل ما يربح إلى انخفاض مستوى التعليم وأن الجمهور لا يفهم في الحقيقة هذا ولا ذاك، لكنه يخاف مسبقاً إلى أحدهما، عادة ما يكون طرفاً دينياً".

ويقول الكاتب المصري "مع انخفاض مستوى التعليم انخفضت فاعلية العلم والموضوعية، وسادت الأطروحة الدينية التقليدية والذاتية. كيف يمكن في هذا الوضع خلق حوار يسمح بإدماج الجمهور ولو جزئياً في قضايا فلسفية على هذا القدر من العمق والتكثيف؟ لهذا تحدثت عن الفكر العربي اللانهائي، أي الذي يشخص المشكلة الواقعية بسبب مثالي، ثم يحاول حل هذه العلة المثالية بعلاج مثالي، وهذا غير ممكن؛ ليس باستطاعة المفكر العربي أن يحدث التعليم، فهذا دور المؤسسة، لهذا يجب عليه أن يعترف بحدوده، ويطلب بتغيير اجتماعي".

ويوضح الصياد في كتابه أنه ثمة إشكاليات مثارة في المرحلة الراهنة، مثل سؤال الهوية والإصلاح الديني والإرهاب والتخلف، وهي إشكاليات حضرت في المشاريع الفكرية العربية على مدار القرنين بدرجات متفاوتة توارت إشكاليات أخرى كانت مثارة في المشاريع الفكرية العربية. وبلغت إلى أن إشكاليات الفكر العربي المعاصر منذ قرنين مازالت حية إلى اليوم، وبعضها لم يعد بالأهمية نفسها كسؤال الاستعمار والتحرير مثلاً، كما استجذبت بعض الإشكاليات مثل ثقافة الواقع الافتراضي ومجتمع المعلومات المفتوح الذي سيكون له أثر بالغ بما لا يكاد يقاس على المدى المتوسط.

ويشير لـ "العرب" إلى أن فلسفة الواقع الافتراضي في العالم كله لا تزال في مرحلة الطفولة، فالمجتمع لم يستوعب بعد كل آثارها وهي أخذة في التبلور حالياً. ويقول "الفكرة إذا أردنا إنجاز فلسفة عربية معاصرة أصيلة علينا أن نستوعب

أكاديمية المملكة المغربية تحتفي بالشاعر محمد بنيس

والعربي يحتل موقعا مميّزا ضمن مشاريعها، مما يؤكد على العناية التي توليها للغة الضاد من أجل تعميق النظر في حاضرها ومستقبلها. وأبرز أنه من هذا المنطلق كانت عناية أكاديمية المملكة بثرات أدبي مغربي أصيل ونشره في موسوعة فريدة من نوعها فضلا عن اعتنائها بأعلام الأدب والفكر ممن أسهموا في إغناء فضاء الثقافة بآراء معرفي وعلمي مشهود له في الريادة والاستحقاق. من جهته أعرب الشاعر محمد بنيس عن تقديره لمبادرة أكاديمية المملكة بالاحتفاء باليوم العالمي للشعر الذي يعد تقديراً لهذا الإبداع الإنساني المتجذر في أعماق كل ثقافات العالم، مغرباً عن سعاده الغامرة بما أحاطته به الأكاديمية من تكريم واحتفاء بهذه المناسبة.

واعتبر بنيس أن هذا التكريم احتفاء بالثقافة والإبداع في المغرب، مغرباً عن أمه في أن يتحول إلى تقليد سنوي تحتفي فيه الأكاديمية بالشعر والشعراء من داخل المغرب وخارجه، وتعمل على إغناء التأمل في الشعر وضرورته الإنسانية وعلاقاته المتشابكة مع المعارف والفنون وفاعلية تبادل ترجمته في بناء حوار مبدع بين الشعراء، فضلا عن اللغات والثقافات والشعوب. كما دعا الشاعر وزارات الثقافة والتعليم في البلاد العربية إلى الارتقاء إلى أعالي الشعر لترى ما يمثله بالنسبة إلى اللغة، مثلما لدى الفرد والجماعة، وأن تعيد النظر في علاقتها بالشعر والشعراء، لافتاً إلى أن "الشعر كان عنوان الحضارة العربية وأن الشعراء العرب بواصلون اليوم، رغم عزلة المتعاطفة، كتابة قصيدة حديثة تجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل وتجاوب مع مغامرة الشعراء المبدعين في العالم".

وأشار إلى أن ما يختاره هؤلاء وسواهم من الشعراء "هو شعر الحضور الذي يمثل شعر الحياة والحرية والمحبة والأخوة والضيافة والحوار، وهو شعر يوسع أيضا معنى أن نحيا وأن نموت على أرض تحب جميع أبنائها باختلافاتهم، عنوانها الوحيد تقاسم حياة الكرامة المشتركة وإلغاء جميع أنواع الهيمنة".

وتعمرت هذه التظاهرة الاحتفالية، التي احتضنها مقر أكاديمية المملكة وحضرها مثقفون وأدباء ومهتمون، بتقديم دراسات وشهادات لمشاركين من المغرب والخارج، فضلا عن قراءات شعرية للمحتفي به. وبمناسبة هذا اللقاء الثقافي قدم أمين السر المساعد لأكاديمية المملكة محمد الكناشي كتاباً فنياً من إصدار الأكاديمية بعنوان "محمد بنيس مقام الشعر"، متضمناً عدداً موسعاً من الوثائق والدراسات والشهادات لشعراء ونقاد وباحثين ومترجمين من عدة لغات. ويعرض هذا الكتاب صوراً شاملة وعميقة عن أعمال محمد بنيس في الشعر والدراسة والنصوص والترجمة، بالإضافة إلى إبرازه مكانته في الشعرية العربية الحديثة وحضوره الفاعل عربياً ودولياً عبر ما ترجمه من أعماله الشعرية إلى عدة لغات، وما شارك به في إغناء الفكرة الشعرية، وما قام به من أجل الدفاع عن الشعر والشعراء داخل المغرب وخارجه.

ويؤكد أن الاحتفاء بالثقافة العربية التي اكتسبت وجوداً معانيه العميقة ضد كل أشكال الثقافة السريعة الاستهلاكية، مؤكداً أن الشعر العربي أسهم ولا يزال يسهم في تطوير اللغة العربية وأساليب التعبير. وأشار أن هذا الاحتفال هو أيضا مناسبة سانحة للاحتفاء باللغة العربية وأدائها وفضائلها التي مكنت المبدعين العرب من ترسيخ موقعها ضمن اللغات الحية اليوم، وتطوير نسقها في التعبير عن المعارف والأحاسيس وأفاق الخيال.

وأضاف أن الشعر العربي استطاع في حقه التاريخية الممتدة في أعماق الثقافة العربية أن ينتج تنوعات فنية وجمالية تجسد الوعي الاجتماعي وأصوات العصر وذاكرته التي شكلها الشعراء والأدباء من أجل اختيار عمق القول والأدب وجماليتهما في نصوص خالدة تؤثت الثقافة العربية وتعيد اكتشاف الأشكال الفنية باعتبارها سمات مميزة للنصوص ولدور الأدب على نحو شامل. وأكد أنه بالنظر إلى أدوار الشعر ووظائفه اللغوية في مشاعر الإنسانية والارتقاء بالقيم الكونية تعزّم أكاديمية المملكة مواصلة الاحتفال بالأصوات الشعرية المميزة في المغرب والخارج، مضيفاً أن البحث في الأدب المغربي

الرباط - أقامت أكاديمية المملكة المغربية مساء الأربعاء بالرباط حفلاً تكريمياً للشاعر المغربي محمد بنيس، بمناسبة اليوم العالمي للشعر، وذلك احتفاءً به وتقديراً لما قدمه من أعمال اغنت الحياة الشعرية والثقافية على امتداد أكثر من خمسة عقود.

وأكد أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية عبد الجليل لحجومي، في مستهل هذا اللقاء الثقافي، أن هذا الاحتفاء يأتي اعتباراً للمكانة التي توليها أكاديمية المملكة للاحتفال باليوم العالمي للشعر وللشاعر المحتفي به، مؤكداً أيضاً مواصلة أكاديمية المملكة تنظيم لقاءاتها العلمية احتفاءً بالفكر والأدب والشعر "الذي يعد من أسمن أشكال التعبير وأغناها لدى مختلف الثقافات".

واعتبر لحجومي الشعر لدى محمد بنيس معرفة جعلها مدار ممارسة وتفكير جابت مختلف الجغرافيات الشعرية العربية والعالمية، مضيفاً أن الشاعر، الذي كتب أيضاً عن الفنون التشكيلية وأنجز أعمالاً مشتركة في شكل لوحات وكتب فنية، أخلص لمشروع شعري وإبداع متواصل أغناه بتأملات نظرية وفكرية.



تكريم الشاعر جاء تقديراً لأعماله وإغناؤه الحياة الشعرية والثقافية واحتفاءً بالشعر العربي وأدواره الضرورية

وأشار إلى أن احتفاء أكاديمية المملكة باليوم العالمي للشعر هو احتفاء بالقصيدة العربية التي اكتسبت في الثقافة العربية مكانة جوهرية وغدت ديواناً منفتحاً على تجارب الحياة وأكسبت "وجوداً معانيه العميقة ضد كل أشكال الثقافة السريعة الاستهلاكية"، مؤكداً أن الشعر العربي أسهم ولا يزال يسهم في تطوير اللغة العربية وأساليب التعبير. وأشار أن هذا الاحتفال هو أيضا مناسبة سانحة للاحتفاء باللغة العربية وأدائها وفضائلها التي مكنت المبدعين العرب من ترسيخ موقعها ضمن اللغات الحية اليوم، وتطوير نسقها في التعبير عن المعارف والأحاسيس وأفاق الخيال.

وأضاف أن الشعر العربي استطاع في حقه التاريخية الممتدة في أعماق الثقافة العربية أن ينتج تنوعات فنية وجمالية تجسد الوعي الاجتماعي وأصوات العصر وذاكرته التي شكلها الشعراء والأدباء من أجل اختيار عمق القول والأدب وجماليتهما في نصوص خالدة تؤثت الثقافة العربية وتعيد اكتشاف الأشكال الفنية باعتبارها سمات مميزة للنصوص ولدور الأدب على نحو شامل.

وأكد أنه بالنظر إلى أدوار الشعر ووظائفه اللغوية في مشاعر الإنسانية والارتقاء بالقيم الكونية تعزّم أكاديمية المملكة مواصلة الاحتفال بالأصوات الشعرية المميزة في المغرب والخارج، مضيفاً أن البحث في الأدب المغربي



محمد بنيس أحد رموز الشعر في المغرب